خطبة جمعة بعنوان

[إصلاح القلوب]

*فضيلة الشيخ العلامة
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

مسجد *المهاجرين _ الدقم _ بور _ سيئون*
الجمعة 25 ربيع الأول 1444 هجرية

فرغها /أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم،وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس : إن حياة اليمن ، وحياة الشعوب ، وصلاح الأمم ، وصلاح الشعوب ، كل ذلك مداره على صلاح القلوب ، فإن صلحت القلوب صلحت الشعوب ، أفرادا وجماعات ، وإن فسدت القلوب فسدت الشعوب ، قال الله عز وجل : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)}[الجمعة : 2]

فكانت الأمة أمة ضالة ، أصحاب قلوب فاسدة ، تنتهك ما حرم الله ، ولا تتورع عن أي جرم وشر ، فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمها ، وتزكيتها ، وإصلاح قلوبها ، بدين الله عز وجل ، بالعلم النافع ، إصلاح قلوبها بالقرآن ، إصلاح قلوبها بالخوف منه سبحانه وتعالى ، والتوكل عليه ، لتوحيده ، بالإخلاص له ، وافراده بالعبودية وحده لا

شريك له ، فتزكت الأمة ، وصارت النزاكية ، أمة مباركة ، أمة مرحومة ، أمة مكرمة ، صارت الأمة مكرمة من الله عز وجل ، بعد أن مقت الله الأمة عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، فلما تزكت الأمة بالكتاب والسنة وبدين الله صارت خير أمة أخرجت للناس ، كما قال سبحانه وتعالى : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران:110].

صارت أمة خيارا شهيدة على جميع الأمم ،:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ} [البقرة:143].

صارت أمة سابقة وإن كانت متأخرة في الزمن، نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، هذا كله بعناية النبي صلى الله عليه وسلم ، بأمر من ربه عز وجل ، ان يبلغ الأمة ما يزكيها، أن يبلغ هذه الأمة ما ينتشلها من حضيض الحيوانات إلى رقي الطاعات لله سبحانه وتعالى ، والى رقي البشرية الحقيقية التي أرادها الله عز وجل أن تعبده حقها، وانظروا إلى الأمم التي لم تعتني بقلوبها كيف كان عدادها عداد الحيوانات ، قال الله سبحانه ولقد :{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)}[الأعراف:179].

فأمة قلوبها غافلة، أمة قلوبها ميتة، أمة قلوبها ليست حية، انظر اعداهم في كتاب الله، ومن أصدق من الله حديثا، كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون، ما السبب في فساد شعوب، فساد أمم، فساد يعني جبلات كثيرة؟ السبب أنها قلوبها فاسدة بعيدة عن عبادة الله وتوحيده، فاسدة بعيدة عن الاستقامة على دينه، فاسدة، فسدت ففسدت أجسامهم وأحلامهم وسائر بلدانهم، وأقوامهم فسدوا كلهم صارت الحياة فاسدة ، فاسدة بسبب فساد القلوب ، فلهذا فساد القلوب إنما فساد الشعوب إنما هو نتيجة لفساد القلوب ، فإذا فسدت القلوب

بالشركيات والبدع والخرافات ومعصية رب الأرض والسماوات فسد الحياة كلها ، فسد الناس كلهم ، فسدت المجتمعات ، بل معايشهم وأرزاقهم وأحوالهم وأقوالهم كلها تطيح كلها تفسد،:{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)}[الفرقان:44].

حتى العقول لا يستفيدون من سائر ما هم فيه، قال الله عز وجل : {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)}[الأحقاف:26].

لما كانوا على غير طاعة الله عز وجل ما انتفعوا بشيء من جوارحهم عطلوها، صارت عندهم لا يستفاد منها، فيا عباد الله إننا نرى أن الناس يعتنون سلاح أجسامهم وصلاح أرزاقهم وصلاح وصلاح من الأمور التي هم يهدفون إليها دون عناية كبيرة بصلاح قلوبهم، وذلك كله مما يهرعون إليه لا يجدي شيئا، فإن القلوب إذا فسدت فسد الجسد كله، كله يفسد كله حتى الصحة يؤدي إلى فسادها فساد القلب، حتى الصحة، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب؛ أخرجه البخاري(1/ 28 (52) ومسلم(3/ 1219 (1599) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فحياة الإنسان وصلاحه على قلبه، وفساد الإنسان على قلبه، إذا فسد هذا القلب فسد الجسد كله، ويظن بعضهم أن الجسد يستريح ويتنعم لا والله، والله لا يذوق الراحة لا دنيا ولا أخرى حتى يصلح قلبه، وإلا فسيعاقب من الله ،:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (126)وَكَذَٰلِكَ

نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (127)}[طه :124،127].

معايشهم تفسد معايشهم، وصحتهم وأوقاتهم ، قال الله سبحانه وتعالى:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30)}[الشورى:30].

وقال الله جل وعلا :{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ}[فاطر 45].

إذا فسدت قلوبهم وفسدت أحوالهم كلها، حتى المعايش،:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)}[الروم : 41].

فهذا الفساد الظاهر في البر، وقلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وفساد الأمن، وضياع الأوقات، وغير ذلك كله نتيجة فساد الدين، فساد القلوب، : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)} فهو عقاب عاجل، وهو نذير عقاب، آجل متأخر يوم القيامة،:{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)}[السجدة :21]

انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى:{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ}[المائدة:13].

فساد القلوب الذي وقعوا فيه ، الفساد الذي حصل لهم في قلوبهم ، وقسوة قلوبهم ، راكمت عليهم فسادا في الحياة لا يعلمه إلا الله ، كما دلت عليه هذه الآية:{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ}

وكانت نتيجة ذلك :{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ}

لا يلتزمون أيضا تحري الكلام المضبوط أبدا :{وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ} لا يستفيدون من التذكير، لا من أنبياء الله ولا من رسله ولا من أحد

يذكرهم ، {وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ} حياتهم كلها خيانة، حياتهم كلها عائشة على المكر والمخادعة وعدم الإنصاف من أنفسهم ، وعدم التعبد لربهم، ما نتيجة ذلك ؟ فساد القلوب، فسدت قلوبهم، قست قلوبهم، عاقبهم الله بذلك حتى أدى ذلك إلى مزيد من النكد عليهم والفساد في حياتهم، هذا

حال فساد الشعوب، أن القلوب فسدت ففسدت الشعوب، دائما وأبدا في كل زمان ومكان ، إذا استقامت قلوب أهله على طاعة ربهم توحيد ربهم دين ربهم كتاب ربهم سنة نبيهم صلح حياتهم ، وإلا فليس لهم نتيجة إلا ذلك القلق، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)}[النحل:97].

أخرج مسلم في صحيحه(144)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتّى تصِيرَ على قَلْبَيْنِ، على أبْيَضَ مِثْلِ الصّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ.

تأمل في هذا الحديث ما نتيجة صاحب القلب الفاسد، ما نتيجته ما نتيجة ،مجتمعاته منه، ما نتيجة أوقاته منه، ما نتيجة حياته كلها؟ شرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود، قلب أسود، قلب مرباد، قلب منكوس، قلب لا يعرف المعروف، لو أحسنت إليه الدهر ما عرف لك أي معروف، قلب ما يعرف شي، قلب لا ينكر المنكر يرى كل فساد عكس ما يراه الصالحون ، كل فساد كل عنده نعمة، ما ظنك بمجتمع يحصل فيه هذه القلوب، كيف سيكون هذا المجتمع؟ مجتمع فاسد كله إذا سار على هذا الحال، إذا فسد القلب فسدت الحياة كلها، كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، صاحب هوى، يقدس هواه ، ما ظنك بمجتمع فرد أو مجتمع عبد لهواه ليس عبدا لله سبحانه، :

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)}[الجاثية:23].

من ؟ فرد أو مجتمع إذا لم تكن قلوب

حية بدين الله بالحق بالعلم بالسنة بالقرآن بالتوحيد بالتوكل على الله سبحانه وتعالى كمن جاءت به الرسل فمن الذي يهديه؟ لا أحد يستطيع، لا سجون تنفع فيه، ولا جلد ينفع فيه، ولا شيء ينفع فيه: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)} [الحج:46].

معشر المسلمين افهموا هذه التوعية الإلهية ، والتربية الربانية، بإصلاح القلوب في الأفراد والشعوب، حتى يصير الناس تربيتهم صحيحة حقيقية، هذا هو التوفير، فإذا الناس تركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وأروا عن ذلك وصار الحال أن قلوبهم ليس بها عناية بتوحيد الله بالعلم بغير ذلك مما هو من صالحها فسدت الحياة، فسدت معايش الدنيا والآخرة، وما هلاك أهل النار إلا بفساد قلوبهم، قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:{ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)}[الشعراء:87،89]

فلا ينفع المال مع القلب الفاسد لا ينفعه، البنون لا ينتفع بهم لا في دنيا ولا أخرى ، نفع مؤقت وهو عائل عليه بشر لا ينتفع، :{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37)}[سبإ:37].

أخرج أحمد في مسنده، من حديث

أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه:"أنّ غلامًا شابًّا أتى النبيّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم فقال : يا نبيّ اللّهِ أتأذنُ لي في الزنا ؟ فصاح الناسُ به , فقال النبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم قرّبوهُ , ادْنُ فدنا حتى جلس بين يديْهِ. يربيه يؤدبه، يعالج قلبه، هذا قلب الآن يحتاج إلى علاج حتى

يصلح، فقلوب الناس تحتاج إلى علاج بدين الله، بالعلم، بالهدى ، حتى تصلح. فقال عليه الصلاة والسلام :"ادْنُ فدنا حتى جلس بين يديْهِ، فقال النبيٌ عليه الصلاةُ والسلامُ : أتحبُه لأمِّكَ فقال : لا , جعلني اللّهُ فداك , قال : كذلك الناسُ لا يُحبُّونه لِأمّهاتِهم , أتحبُه لابنتِك ؟ قال : لا ، جعلني اللّهُ فداك قال : كذلك الناسُ لا يُحبُّونه لبناتِهم , أتحبُه لأختِك ؟اتحبه لعمتك؟ قال لا يا رسول الله فداك ابي وامي. قال ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال أتحبه لخالتك؟ قال: لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، فوضع رسولُ الله صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم يدَه على صدرِه وقال : اللّهمّ طهّرْ قلبَه واغفر ذنبَه وحصّنْ فَرْجَه فلم يكن شيءٌ أبغضَ إليه منه.

دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، هذه عناية الآن بالقلب ، هذا الآن تربية تصفية لهذا القلب الذي يريد زنا رسمي، ائذن له يا رسول الله بالزنا، قال :" فما رؤي ذلك الشاب بعد ذلك يرفع رأسه إلى شيء أي محرم، لما طهر الله قلبه بهذا التهذيب النبوي والتربية النبوية والدعاء لهم الصلاح صلاح قلبه، أيها الناس إن على صلاح القلوب وهداية القلوب بتوحيد الله، بالعلم النافع، هذه هي التربية التي يصلح بها المجتمعات في الدنيا والآخرة، وترضي رب الأرض والسماوات.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى أصحابه الهداة، أما بعد أيها الناس: أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن سعود رضي الله عنه ، أنه قال:" إنّ اللّهَ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ؛ فوجَدَ قلبَ محمّدٍ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ خيرَ قلوبِ العِبادِ، فاصطَفاه لنفْسِه، فابْتعَثَه برِسالتِه. أي لحمل دينه. قال:ثُمّ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ بعدَ قلبِ محمّدٍ؛ فوجَدَ قلوبَ أصحابِه خيرَ قلوبِ العِبادِ، فجعَلَهم وُزَراءَ نبيِّه، يُقاتِلونَ على دينِه، فما رَأى المُسلمونَ حَسنًا؛

فهو عندَ اللّهِ حَسنٌ، وما رأوا سيِّئًا؛ فهو عندَ اللّهِ سيِّئٌ.

والشاهد من ذلك أن نظر الله عز وجل هو إلى القلوب لا إلى الأجسام، فلما علم الله قلب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه خير القلوب كلفه بالرسالة ابتعثه للأمة، أساس التمكين صلاح القلوب، أساس التمكين في الأرض هو صلاح القلوب، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ}[النور:55].

من علم الله صدقه صدقه،:{إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ}[الأنفال:70].

إن أخذ الله بصرك وعلم الله صلاح قلبك أبدلك خير من البصر، أخذ الله ولدك وعلم الله صلاح قلبك وصبرك أبدلك خير من الولد، أخذ الله مالك وعلم الله صلاح قلبك أبدلك لك خير من المال، اي شيء يأخذه عليك، أي شيء تسلب منه والله يعلم صلاح قلبك وطاعتك لله فيه فأبشر بالعوض من الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، فما من حال تكون فيها مع صلاح القلب إلا وهي أحسن من التي قبلها، وما من حال تكون فيها مع فساد القلب إلا وهي أسوأ مما يليها، كل ذلك حياة

الإنسان على القلوب، حياة العباد على حياة قلوبهم،:{أَوَمَن كانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}[الأنعام:122].

ما هذه الحياة أحياء قلبه، فإن القلب قد يموت ،القلب يمرض، القلب يغفل، قال ربنا سبحانه وتعالى :{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}[البقرة:10].

ما ظنك بمجتمع تمرض قلوبهم فلا يعالجونها بطاعة الله وذكر الله، فلا تزداد إلا مرضا حتى يؤديها ذلك إلى الموت والهلكة، ولهم عذاب عظيم، وهكذا :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}[الأنبياء:1،3]ما نتيجة حياتهم ؟ حياة لعب، لا يستفيدون من ذكر الله، حياة لعب، ما يأتيهم من ذكر من الله قرآن وحي سنة ما يستفيدون منها، ما العلة ما السبب ؟ لاهية قلوبهم، قلوبهم ما هي صحيحة، فقال الله سبحانه وتعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)}[الشورى:52].

فما هذه الحياة، ما هذه الروح ، هذه روح حياة القلب، روح إيمانية، ما الذي يكون له ذلك فإنه لا روح له، قال ابن عباس: فكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل به، أو قال ابن عباس رحمه الله: عليه تتوقف الحياة الحقيقية، وعليه تتوقف الهداية الحقيقية، روحا لأن الحياة عليها تتوقف من لا روح له لا حياة له، فإذا فقد الإنسان القرآن العمل بالقرآن والعناية به وحياة القلوب فقد حياته كلها، وهكذا فقد نوره كله وصار يعيش أعمى، قال الله سبحانه:{وَمَن كانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72)}[الإسراء:72].

لا تظن أنه الذي كف بصره لا، الذي عمي قلبه في هذه الدنيا هو أعمى دائما، وما ظنك بالأعمى، حياته لا يرسى الطريق لا في دنيا أخرى،

{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)} [الحج:46].

لهذا كان أهل العلم يعتنون بالقلوب، وعلاج القلوب، وتربية القلوب بتعليم العقيدة الصحيحة، والتوحيد الإلهي، توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، يعتنون تعليم الأمم، هكذا بعث الله المرسلين للعناية بقلوب العباد لحياتهم،:{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21)}[الأحقاف:21].

أحقاف دياركم، أحقاف في هذه البلاد، عاد هكذا صاروا على هذا الحال فبعث الله نبيها إليها لهذه الدعوة لحياة القلوب، سائر الأنبياء،:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل:36].

يريدون أن ينتشلونهم، تحيا قلوبهم بعبادة الله وحده، ويتركون عبادة البشر والأحجار والأشجار والحيوانات وغير ذلك من التوافه، هكذا بعث الله الأمم، ثبت عند ابن ماجة(62)

من حديث عبدالله بن فيروز الديلمي قال: أتيت إلى أبي بن كعب وقال : إني قد وقع شيء في قلبي من هذا القدر.

انظر الآن كيف يذهب الناس يتعالج قلبه عند طبيب القلوب، عند العالم، وقع في قلبي شيء من هذا القدر فحدثني عن ذلك لعله يذهب ما بقلبي، قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" لو أنك أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، فتعلمَ أنّ ما أصابكَ لم يكن ليخطئكَ وأنّ ما أخطأكَ لم يكن ليصيبَكَ وأتكَ إن متّ على غيرِ هذا دخلتَ النّار .

هكذا ذهب إليه ينظر يعالج قلبه من هذا الذي وقعت في قلبه شبهة، شبهة تمرض القلب تفسده، فيا أخي تذهب من علاج حمى ، تذهب من علاج بعض الملاريا، والأمراض الخفيفة تجري من مستشفى إلى مستشفى تعالج جسدك ثم لا تتعالج بالعلم النافع، في العقيدة

الصحيحة عند ذويها ومعلميها، وهكذا أتى زر بن حبيش إلى صفوان بن عسال رضي الله عنه من مسافة من بلد يسأله، ما جاء بك يا ز؟ قال : ابتغاء العلم، إنه حك في صدري المسح على الخفين والغائط والبول، أي وقع في قلبي، هل يمسح الإنسان بعد الغائط والبول على خفيه؟ يريد يعالج هذه الشبهة، ويزيل هذه الشبهة، يفقه دين الله، يتعلم يكون على بينة وقلبه يكون بعيد عن هذه الشبهة، وكنت امرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت أسالك من المسح على الخفين بعد الغائط والبول، قال رضي الله عنه: ما جاء بك إلا هذا ؟ قال نعم، قال : أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"إنّ الملائكةَ لتضعُ أجنحَتَها لطالبِ العلمِ ، رضًا يما يطلبُ.

ملائكة الله تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً لطلبه للعلم النافع العلم الشرعي، يقينا العلم الشرعي الذي من أجله الملائكة تضع أجنحتها، لا لعلم أخرى ،ثم قال:" كان يأمرُنا إذا كنا سفرًا - أو مسافرين - أن لا ننزعَ خفافَنا ثلاثةَ أيامٍ ولياليهن إلا من جنابةٍ لكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ، أي ما نزعها، ثم طلب منه آخر قال : حدثني عن الهوى؟ أي الحب ماذا؟ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب يوم القيامة، جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، قال : هاؤم أي نحن من قوله، أي يا محمد أجابه نحوا من قوله هاؤم، قال :المرءُ يحبُّ القومَ ولمّا يلحقْ بهم قال النبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ المرءُ مع من أحبّ يومَ القيامةِ، فحدثه عن مسألة أخرى أيضا أن من أحب إنسانا حشر معه يوم القيامة، أعطاه درسين، درس في الطهارة والمسح على الخفين، وأعطاه درس آخر في الولاء والحب، وأنك إن أحببت يهوديا، أو نصرنيا، أو مجوسيا، أو هندوسيا، أو رافضيا، أنت معه يوم القيامة واختر لنفسك، وإن أحببت نبيا ،صالحا، شهيدا، صديقا، مؤمنا، عالما، محدثا، حشرت معه يوم القيامة،{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)}[النساء:69]

هكذا كانوا يأتون إلى العلماء لعلاج القلوب، وفي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ. البخاري(4547) ومسلم(2665)

أي سماهم في قوله :{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7]

انظر نتيجة القلوب الغافلة الجاهلة التي لا تعي ولا تتفقه، تتبع المتشابهات، ما ظنك بمجتمع، أو فرد، أو جماعة على هذا الحال، لا يؤمنون بالقرآن والسنة على ما أراد الله، ولا يتفقهون عند أهل ذلك وإنما شغالون في الشبهات للناس ، وبث الشبهات، ولا سيما في أزمنتنا هذا فإنك لا ترى منهم إلا التشكيك في الدين في كثير من أصحاب القلوب المريضة، وعلى هذه الآلات الحديثة المبثوثة للتشيكك في الدين، وسنة سيد المرسلين، وكتاب رب العالمين، وهكذا والزعزعة والفتن، أيها الناس العلاج العلاج ،والعانية العناية بهذه القلوب، فإن فساد الشعوب هو نتجية فساد القلوب، نسأل الله جل وعلا أن يهدي قلوبنا، كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:كان النّبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّمَ يدعو يقولُ ربِّ أعِني ولا تُعِنْ عليّ وانصُرني ولا تنصُرْ عليّ وامكُرْ لي ولا تمكُرْ عليّ واهدِني ويَسِّرِ لي الهُدى وانصُرني على من بغى عليّ ربِّ اجعلْني لك شَكّارًا لك ذَكّارًا لك رهّابًا لك مِطواعًا لك مُخبِتًا إليك أوّاهًا مُنيبًا ربِّ تقبّلْ توْبتي واغسِلْ حَوبَتي وأجِبْ دَعْوتي وثبِّتْ حُجّتي وسَدِّدْ لساني واهدِ قلبي واسلُلْ سَخيمةَ صدْري"؛ رواه الترمذي في سننه(3551) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وكان من دعا النبي صلى الله عليه وسلم:"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على دينك.

وكان مما أمرنا الله عز وجل : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.